Al-Madinah International University
International Islamic Sciences Journal

eISSN: 2600-7096
V.6, Issue. 1, Mar 2022

Milestones of the reformist trend in the interpretation of Imam Abdul Hamid bin Badis, "An Analytical Study

Ali bin Ahmed Al-Zahrani
Faculty member at the College of Da`wah and Fundamentals of Religion at Umm Al-Qura University.
E-mail: abu.anas07@hotmail.com

ABSTRACT

This study aims to talk about the intention of the reformist trend in interpretation, and its most important features in the interpretation of Sheikh Abdul Hamid bin Badis, which included his councils in interpretation, and highlight the advantages of this interpretation and its advantages from others who wrote in the interpretation from the pioneers of the reformist school. In analyzing Ibn Badis' reformist approach to interpretation, the researcher used the inductive analytical method, through which his interpretation was described and the information was analyzed. The researcher concludes in this study that Sheikh Ibn Badis employed the gifts of the Holy Quran in his general reform project, which covered most aspects of life, and dealt with a number of issues and problems that were apparent in societies at the time. With this treatment, he walked on correct assets and disciplined rules, and he was the best written in the explanation from the reformists.

Key words: reformist direction – Interpretation- Ibn Badis

جامعة المدينة العالمية
مجلة العلوم الإسلامية الدولية

eISSN: 2600-7096
المجلد6، العدد 1،مارس 2022م

معالم الاتجاه الإصلاحي في تفسير الإمام عبدالحميد بن باديس "دراسة تحليلية".

علي بن أحمد الزهراني

عضو هيئة التدريس بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الحديث عن مقصود الاتجاه الإصلاحي في التفسير، وأهم معالمه في تفسير الشيخ عبدالحميد بن باديس، والتي ضمّنها مجالسه في التفسير، وإبراز محاسن هذا التفسير ومزاياه عن غيره ممن كتب في التفسير من رواد المدرسة الإصلاحية. وقد استعان الباحث في تحليل منهج ابن باديس الإصلاحي في التفسير بالمنهج التحليلي الاستقرائي، حيث تمّ من خلاله وصف تفسيره وتحليل المعلومات. ويخلص الباحث في هذه الدراسة إلى أنّ الشيخ ابن باديس قد وظّف هدايات القرآن الكريم في مشروعه الإصلاحي العام الذي غطّى به معظم جوانب الحياة، وعالج به عددًا من القضايا والمشكلات التي كانت ظاهرة في المجتمعات آنذاك. وهو بهذه المعالجة قد مشى على أصول صحيحة، وقواعد منضبطة، فكان خير مَن كتب في التفسير من أصحاب الاتجاه الإصلاحي.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه الإصلاحي— التفسير – ابن باديس.

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فهذه ورقاتٌ بحثيَّة أتناول فيها موضوع: معالم الاتجاه الإصلاحي في تفسير الإمام عبدالحميد بن باديس "دراسة تحليلية"، وقد جعلت الدراسة من خلال شخصية تميزت بالعلم، وسعة المعرفة، والعقل الراشد، والحكمة الثاقبة، والنَّفَس الإصلاحي القويّ. هو الشيخ العالم المصلح: عبدالحميد بن باديس رحمه الله.

***مشكلة البحث:**

تتمثل مشكلة البحث في البيان عن مقصود الاتجاه الإصلاحي في التفسير، وذكر أهم معالمه في تفسير الإمام ابن باديس، وإظهار مزايا هذا التفسير عن غيره من كتب التفسير الإصلاحي، والكتابة في هذا الموضوع مهمة؛ إذ نلحظ غياب أثر هذا التفسير عن كثير من طلاب العلم في هذا الزمان؛ إما لأنّ تفسيره لم يصلنا كاملًا، أو لأن الإمام لم يكتب ابتداءً، وإنما أملى التفسير إملاء.

*** أهداف البحث:**

* تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

1- التعرف على مفهوم الاتجاه الإصلاحي في التفسير.

2- دراسة معالم الاتجاه الإصلاحي في تفسير الإمام ابن باديس.

3- الوقوف على محاسن الاتجاه الإصلاحي في التفسير، وكذا الأخطاء التي وقع فيها بعض أساتذة هذا الاتجاه.

*** أهمية البحث:**

تكمن أهمية هذا البحث في الوقوف على معرفة الاتجاه الإصلاحي في التفسير، ومعرفة أهم معالمه وما نتج عن آثار هذا الاتجاه من خلال تفسير الشيخ العالم عبد الحميد بن باديس.

*** منهج البحث:**

اعتمدت خلال هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي، في دراسة الاتجاه الإصلاحي في تفسير الإمام ابن باديس.

***الدراسات السابقة:**

– رسالة ماجستير بعنوان: الإصلاح السياسي عند مفسري القرآن الكريم في النصف الأول من القرن العشرين "رشيد رضا وطنطاوي جوهري نموذجا"، للباحث: حازم زكريا.

– تفسير الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس "المنهج والخطاب الإصلاحي"، رسالة ماجستير، للباحث: عبدالعالي بن خميسي باي زكوب.

وهناك أيضا مقالات علمية كثيرة حول ابن باديس، مثل:

الفكر الإصلاحي العقدي في تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس، بحث بمجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان.

البعد الديني في الفكر الإصلاحي لعبد الحميد بن باديس، للباحثة: فتيحة معط الله.

وجوه الخطاب الإصلاحي في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس، للباحث: باي زكوب عبد العالي.

الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس "حياته وجهوده التربوية"، للباحث: باي زكوب عبد العالي.

المبحث الأول

مفهومُ الاتجاه الإصلاحيّ في التفسير في العصر الحديث

مادةُ الإصلاحِ اللغويةِ مأخوذةٌ من: الصاد واللام والحاء، وهو أصلٌ يدل على خلاف الفساد. والاستصلاحُ: نقيضُ الاستفسادِ. وأصلحَ الشيءَ بعدَ فسادِه: أقامَهُ[1].

وَمِن أحسن ما يُعرّفُ به الإصلاح أنه: السعيُ في إزالةِ ما تحتوي عليه الأمورُ من الشرورِ والمضارِّ الخاصةِ والعامةِ[2].

وهذا التوجه في تفسير القرآن الكريم يحرص على مداواة أمراض المجتمعات الإسلامية المعاصرة، موجهاً لها نحو التمسك بالشريعة، وإقامة حكم الله فيها، مبيناً محاسن الدين ومعايب الجاهلية وأخلاقها ونظمها.

والاتجاهُ الإصلاحيُّ في التفسير له ألوانٌ عديدةٌ، ومسالكُ متنوعةٌ، فمنه ما يقصد الإصلاح الاجتماعي، ومنه السياسي، ومنه الاقتصادي، ونحو ذلك من الاتجاهات التي تهدف إلى توظيف آيات القرآن الكريم في إصلاح ما فسد في المجتمع، وإظهار أثر القرآن في شتى مناحي الحياة المعاصرة، وأنه صالح لكل زمانٍ ومكانٍ، وأنه متى ما تمسكت به الأمة استقام أمرها، ومتى ما أعرضت عنه ضلّت عن سواء السبيل.

وهذا الاتجاه لم يكن وليد هذا العصر الحديث، بل كان من بداية التصنيف والكتابة في علوم القرآن عامة، والتفسير خاصة، فكتاب ابن قتيبة (ت: 276هـ) الشهير: (تأويل مشكل القرآن)، من أوائل ما دُوّن في هذا الاتجاه، وهو بهذا السِّفْرِ الجليل يُصلح ما رام المفسدون عمله من إفساد دين الناس، والتهوين من شأن الوحي عندهم، بتشكيكهم في كتاب الله، وإثارة الشبهات حوله.

والتاريخ حافلٌ بنماذج المصلحين على اختلاف اتجاهاتهم في التفسير، وتنوع أهدافهم الإصلاحية، وليس هذا مقام السّرد التاريخي لهذا الموضوع؛ لكن المراد قوله أن الاتجاه الإصلاحي في التفسير له أصلٌ قديمٌ، ونشأة سابقة، تدل على أهميته ومكانته، ومن ذلك: الكتب التي اعتنت بالمناسبات القرآنية، ومنها: كتاب (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، وكتاب (نظم الدرر) للبقاعي، فقد أكثرا من ذكر المناسبات، وما يحتف بها من جوانب إصلاحية وهدائيّة، ومن تيكم الأمثلة:

---

[1] انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج3، ص303، وابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج2، ص516.

[2] السعدي، عبد الرحمن السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، ص 119.

ما جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38]. قال الإمام الرازي: (في الآية مسائل: المسألة الأولى: في تقرير وجه النظم، فنقول فيه وجهان:

الأول: أنه تعالى بيّن في الآية الأولى أنه لو كان إنزال سائر المعجزات مصلحة لهم لفعلها ولأظهرها إلا أنه لما لم يكن إظهارها مصلحة للمكلفين، لا جرم ما أظهرها. وهذا الجواب إنما يتم إذا ثبت أنه تعالى يراعي مصالح المكلفين ويتفضل عليهم بذلك فبين أن الأمر كذلك، وقرره بأن قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ [الأنعام:38] في وصول فضل الله وعنايته ورحمته وإحسانه إليهم، وذلك كالأمر المشاهد المحسوس فإذا كانت آثار عنايته واصلة إلى جميع الحيوانات، فلو كان في إظهار هذه المعجزات القاهرة مصلحة للمكلفين لفعلها ولأظهرها ولامتنع أن يبخل بها مع ما ظهر أنه لم يبخل على شيء من الحيوانات بمصالحها ومنافعها، وذلك يدل على أنه تعالى إنما لم يظهر تلك المعجزات؛ لأن إظهارها يخل بمصالح المكلفين. فهذا هو وجه النظم والمناسبة بين هذه الآية وبين ما قبلها والله أعلم[3]).

ومن الأمثلة: ما جاء في كتاب (نظم الدرر) للإمام البقاعي في تفسير الآيات من سورة الانشقاق، وذكر المناسبة مع ما تقدم ذكره في سورتي الانفطار والمطففين: (لما تقدم في الانفطار التعريف بالحفظة وإحصائهم على العباد في كتبهم، وعاد الكلام إلى ذكر ما يكتب على البر والفاجر واستقرار ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: 18]، وقوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾ [المطففين: 7] = أتبع ذلك بذكر التعريف بأخذ هذه الكتب في القيامة عند العرض، وأن أخذها بالأيمان عنوان السعادة، وأخذها وراء الظهر عنوان الشقاء؛ إذ قد تقدم في السورتين قبل ذكر الكتب واستقرارها بحسب اختلاف مضمناتها، فمنها ما هو في عليين، ومنها ما هو في سجين إلى يوم العرض، فيؤتى كلٌّ كتابه فآخذ بيمينه وهو عنوان سعادته، وآخذ من وراء ظهره وهو عنوان هلاكه، فتحصّل الإخبار بهذه الكتب ابتداء واستقراراً وتفريقاً يوم العرض، وافتتحت السورة بذكر انشقاق السماء ومد الأرض وإلقائها ما فيها وتخليها = تعريفاً بهذا اليوم العظيم بما يتذكر به من سبقت سعادته، والمناسبة بيّنةٌ[4]).

---

[3] الفخر الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص523.

[4] البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج21، ص337.

المبحث الثاني

التعريف بالشيخ العالم عبدالحميد بن باديس

وفيه مطلبان

المطلب الأول

عصره وحياته[5]

ولد عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس في سنة 1308هـ، في مدينة قسنطينة، من أسرة شهيرة بالعلم والمال والسلطة.

حفظ القرآن الكريم في صغره على يد الشيخ محمد المداسي، ولم يتجاوز الثالثة عشرة، وتعلم مبادئ العربية والعلوم الإسلامية على يد الشيخ حمدان لونيس عام 1903 م، وزوّجه والده عام 1904م، حيث أنجب ولدًا سماه عبده إسماعيل، ولهذا التسمية دلالة على تأثره منذ تعلمه بالإمام محمد عبده.

وفي عام 1908م انتقل إلى تونس ليتلقى تعليمه العالي في جامع الزيتونة، وحصل على شهادة التطويع، أي العالمية سنة 1912م.

تلقى العلم على يد مشايخ وعلماء كثيرين منهم الشيخ محمد المداسي، والشيخ أحمد أبو حمدان لونيس، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي كان له تأثير كبير في تكوين شخصيته العلمية، والأستاذ بشير صفر السياسي المؤرخ التونسي. وقد تأثر بمشايخ لم يتلق عنهم مباشرة منهم: الطاهر الجزائري حيث كتب عنه: (هو الذي ربّى عقلي، وهو الذي حبب لي هذا الاتجاه الفكري)، والشيخ محمد عبده الذي تأثر بأفكاره وآرائه الإصلاحية عن طريق مجلة المنار، حيث كانت له مراسلات مع صاحبها الشيخ محمد رشيد رضا،

---

[5] انظر: طالبي، عمار طالبي، **آثار ابن باديس** ج1، ص72، و عباس، فضل حسن عبَّاس، **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**، ج2، ص595، ووليد الزبيري، **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة** ج2، ص1136.

ومنهم الإمام أبو بكر بن العربي حيث قام الشيخ ابن باديس بطبع كتابه (العواصم من القواصم) بعد عودته إلى الجزائر، وقدم له بمقدمة مهمة.

ومن العوامل التي أثّرت في تكوين شخصيته:

1 – أساتذته الذين غرسوا فيه خلق العلماء، وتواضع الحلماء، وصفات القادة والمصلحين.

2 – أسرته وبيئته.

3 – تأثره بالحركة الإصلاحية للأفغاني ومحمد عبده، حيث اقتفى أثرهما وسلك طريق الشيخ محمد عبده في التربية والتعليم والإصلاح الديني واللغوي، وأُعجب بحركة المنار والشيخ رشيد رضا.

4 – تأثره بابن تيمية وسلفيته، وعدّه المجدد الوحيد، والمصلح في شيخوخة الفكر الإسلامي.

5 – تأثره وأثره في زملائه المخلصين العاملين معه أمثال: الشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ الطيب العقبي، والشيخ العربي التبسي، والشيخ مبارك الميلي وغيرهم.

6 – طبيعة نفسه التي كانت تحمل صفات الخير، والهمة العالية، والعقل المستنير، والقلم السّيّال، والمعلومات الوفيرة والمنظمة، والبديهة الحاضرة، والذكاء الوقّاد[6].

وقد كان للشيخ بصرٌ بالأدب، وباعٌ في اللغة وفقهها، محبٌ للأدب القديم والحديث، يرتجل الشعر على البديهة، ولكن شعره أقل جودة بكثير من نثره.

وهو فقيه من الطراز الأول، خبير بمذهب مالك، ومتفقه على غيره من المذاهب، ويمقت التعصب لمذهب واحد، وهو محدث بصير، شرح موطأ مالك ﷺ كله، ولم يبق من هذا الشرح إلا ما جُمع في كتاب بعنوان: (من هدي النبوة).

سافر إلى المدينة حيث ألقى بعض الدروس في المسجد النبوي، والتقى هناك بكثير من العلماء والمفكرين، وتعرف على الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وقد ربطت بينه وبين الشيخ الإبراهيمي روابط متينة كانت بركة على الجزائر وحركة الإصلاح فيها. والتقى بالشيخ بخيت المطيعي زميل الشيخ محمد عبده الذي منحه إجازة بخط يده.

كان الشيخ –رحمه الله– يقضي يومه بإلقاء الدروس من بعد صلاة الفجر حتى صلاة العشاء، وأكثر ما اشتهر به درس التفسير الذي كان يلقيه بعد صلاة المغرب حتى صلاة العشاء، وبعد صلاة العشاء يدخل حجرته في المسجد ليأتيه الناس للفتوى ولحل بعض مشكلاتهم.

استمر في دروس التفسير إلى أن ختم القرآن تفسيرًا ودراسة في خمس وعشرين سنة، يقول عنه صديقه العلامة محمد البشير الإبراهيمي: (كان للأخ الصديق عبد الحميد بن باديس ذوقًا خاصًّا في فهم القرآن،

---

[6] كتبه الأستاذ توفيق محمد شاهين، مطبوع آخر تفسير ابن باديس ص 707.

كأنه حاسة زائدة خُصّ بها، يرفُده بعد الذكاء المشرف، والقريحة الوقادة، والبصيرة النافذة، بيان ناصح وإطلاع واسع، وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية، وباع مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه. يمدّ ذلك كله شجاعة في الرأي، وشجاعة في القول، لم يُرزقها إلا الأفذاد المعدودون في البشر. وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم، والإصلاح والتربية والتعليم، وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هدايته، والاستقامة على طريقته، وهو رأي الهداة المصلحين فيه[7]).

آثاره العلمية:

ذكر الأستاذ توفيق محمد شاهين أنه قد ضاعت كتابات كثيرة لابن باديس، وذلك أن المستعمر كان يحرق كل مجلة يعثر عليها، غير أن بعض الغيورين والمحبين دفن بعض هذه المجلات في التراب، وبعد سبع سنوات ونصف كشف عنها فبقي بعضها، وأكلت الأرصفة والأتربة بعضها الآخر، غير أن المجلات الباقية وفيها آثاره الباقية أمكن أن نستخلص عنها ما يلي:

1 – تفسير ابن باديس الموسوم ب: (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).

2 – من الهدي النبوي.

3 – من رجال السلف ونساؤه.

4 – عقيدة التوحيد من القرآن والسنة.

5 – أحسن القصص.

6 – رسالة في الأصول.

7 – مجموعة كبيرة من المقالات السياسية والاجتماعية.

8 – مجموعة خطب ومقالات ابن باديس.

وفاة الشيخ:

اغتنم العدو الفرنسي فرصة عطلة المولد النبوي، وكان الشيخ في عُزلة فدسّ له العدو السمّ، وزاره بعض الأصدقاء في الصباح الباكر، فوقف فجأة، ووقفوا لوقوفه، وإذا به يمسك بكتفي شخصين، ويصرخ (إني قضيت حياتي كلها عليكم قائمًا، لن أموت راقدًا، لن أموت راقدًا، لن أموت راقدًا، ربِّ إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين)، ومات ابن باديس واقفًا.

وكانت وفاته يوم الثلاثاء في 8 ربيع الأول 1359 هـ، 16 من إبريل سنة 1940 م.

---

[7] من مقدمة الإبراهيمي ص 19 – 21.

المطلب الثاني

مصادره وأثره فيمن بعده

فأما مصادره، فقد تأثّر الشيخ كثيراً بالمدرسة المصرية الإصلاحية، والتي كان يتزعمها الشيخ محمد عبده، وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا.

يقول الدكتور محمد البهي: (إن عبد الحميد بن باديس حلقةٌ في سلسلةٍ ابتدأت بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في القرن التاسع عشر، وثنّت برشيد رضا في القرآن العشرين[8]).

ومع استفادةِ الشيخِ من أساتذةِ المدرسةِ الإصلاحيةِ في التفسيرِ، فقد كانت مصادره الأولى، كتب أهل التفسير المتقدمين، الذين أصّلوا لهذا العلم وقعّدوا، ومن معين تفاسير السلف نهلوا، فيقول رحمه الله: (وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة:

1 – تفسير ابن جرير الطبري الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترسُّلِيّ البليغ في بيانه معنى الآيات القرآنية وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب.

2 – تفسير الكشاف الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام.

3 – تفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات.

4 – تفسير الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية ومقالات الفرق والمناظرة والحجاج في ذلك.

إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والأحكام وغيرها مما يقتضيه المقام. نقول هذا ليعرف الطلبة مصادر درسنا، ومآخذ مما يسمعونه منا[9]).

وأما أثره فيمن بعده، فيقول عنه الدكتور عمار طالبي: (إن شخصية الأستاذ عبد الحميد بن باديس غنية ومعبرة عن أزمة المجتمع الإسلامي، لا تماثلها إلا شخصية جمال الدين الأفغاني في إثرائها وشمولها وجرأتها

---

[8] ابن باديس، عبد الحميد محمد، **مقدمة التفسير** ص 8.

[9] **المرجع السابق** ص 51.

وتعبيرها عن جميع جوانب المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والدينية والعلمية والسياسية التي يتخبط فيها العالم الإسلامي[10]).

ومع أن الشيخ قد ختم تفسير القرآن العظيم تدريسًا، إلا أنه لم يُنشر له إلا القليل من التفسير، فقد كان يفسر في مجلة الشهاب عام 1925م على شكل افتتاحيات تحت عنوان (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، ثم أعيد نشر هذا التفسير مع إضافات من قبل محمد الصالح رمضان، وتوفيق محمد شاهين عام 1964م، ثم طبع مرة أخرى سنة 1971م بعد أن زيدت عليه شروحات وتعليقات تتعلق بحياته ونشأته وآراء بعض الباحثين فيه.

(إنه واحد من أولئك الذين رأوا الإسلام نظامًا لحياة الإنسان؛ لأنه إنسان في أي وقت وفي أي مكان، ورأوا الإيمان بالله غاية الحياة الدنيا، ورأوا القرآن وِحدةً لها اكتفاؤها الذاتي في التوجيه، واكتفاؤها الذاتي في التفسير، واكتفاؤها الذاتي في تحديد معالم البشرية وتاريخها وقوانين تطورها[11]).

---

[10] الطالبي، عمار الطالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، ج1، ص90.

[11] ابن باديس، عبد الحميد محمد، **مقدمة التفسير**، ص 8.

المبحث الثالث

منهج الشيخ عبد الحميد بن باديس الإصلاحي في التفسير

وفيه مطلبان

المطلب الأول

طريقته في كتابة التفسير

من خلال ما وصلنا من تفسير الشيخ ابن باديس[12]، يمكن وصف طريقته في تفسير القرآن بما يلي:

أولاً: يكتب النص من السورة القرآنية، ثم يبين مناسبة الآية لما قبلها، أو يذكر قضية لها صلة بموضوعِ الآيات، ومن ذلك مثلًا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ ... إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: 26 – 30]، حيث ذكر تمهيداً تحدث فيه عن الإنسان، وأنه مدنيٌّ بالطبع، وعن المجتمع السعيد، ثم تحدث عن وجه ارتباط الآية بما قبلها، وتحدث عن حق القريب[13].

ثانياً: يتحدث الشيخ بعد ذلك عن معاني المفردات القرآنية، والتراكيب اللغوية والنحوية، ويلاحظ القارئ مقدرة ابن باديس اللغوية التي تظهر في ثنايا التفسير. والشيخ لا يدخل في متاهات اللغويين، وتحليلاتهم، ودقائق اختلافهم، كلا؛ إنما المقصود ذكر ما ناسب النصّ القرآنيّ، وكان مؤثراً في صنعة التفسير. يقول الشيخ رحمه الله: (فقد عدنا والحمد لله إلى مجالس التذكير في دروس التفسير، نقتطف أزهارها، ونجني ثمارها، بيسر من الله تعالى وتيسيره، على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات بوجوه المناسبات[14]). وعنايته بالتفسير اللغوي من خلال ما يأتي:

أ. اهتمامه ببيان معنى المفردة، كما جاء في آية الإسراء: "وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا"؛ إذ يقول: (والحظر: المنع، والمحظور الممنوع[15]). وفي موضع آخر: (والغفور في قوله تعالى: {فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} هو: الكثير المغفرة؛ لأنه على وزن فعول، وهو من أمثلة المبالغة الدالة على

---

[12] لم يصلنا من تفسير ابن باديس سوى تفسيره لبضع سور من القرآن، هي الإسراء والفرقان والنمل ويس والمعوذتين وآيات متفرقة من القرآن.

[13] انظر: ابن باديس، عبد الحميد بن محمد، **تفسير ابن باديس** ص 116.

[14] **المرجع السابق** ص 50.

[15] **المرجع السابق** ص 58.

الكثرة[16]). ويقول: (والمحسور: المتعب المضنى، الذي انكشفت عنه القوة، ولم تبق به قدرة على شيء، تقول العرب: حسرت البعير أي أنضيته وأتعبته بالسير، حتى لم تبق به قدرة عليه[17]). وفي تفسير قوله: {إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} (يقال خَطِيءَ يخطأ خطئاً، إذا قصد الفعل القبيح ففعله. وأخطأ يُخطىء خطئاً، إذا قصد شيئاً فأصاب غيره[18]).

ب. اهتمامه بالتراكيب، وبيان أثر معرفتها على المعنى القرآني، كما جاء في تفسير قوله تعالى: "وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا". حيث قال: (وتركيب الآية يفيد أن عطاء الرب لا يمنع، ولا يجوز أن يمنع، لأن من مقتضى ربوبيته دوام عطائه ومدده لعموم خلقه بعلمه وحكمته[19]).

ج. وكذا، مسائل البلاغة وموضوعاتها، فإنك واجد اهتمامًا واضحًا عند الشيخ؛ ليتبين لكل ناظر في تفسيره، ومطالع لسيرته وتكوينه العلمي = نشأته القوية في علوم العربية –ومنها علوم البلاغة–. قال في تفسير قول الله: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} (لما أمرنا الله تعالى بالإنفاق، علمنا كيف ننفق، وبين لنا أدب الإنفاق في هذه الكلمات؛ إذ شبهت حالة وهيئة البخيل الذي لا يكاد يرشح بشيء، ولا يقدر لبخله على إخراج شيء من ماله = بحاله وهيئة الذي جعل يده مغلولة مجموعة بغل إلى عنقه؛ فذاك لا تتوجه نفسه للبذل، ولا تمتد يده للعطاء، وهذا لا تمتد يده للتصرف. ونقل الكلام المركب الدال على المشبه به، فاستعمل في المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية لتقبيح حالة البخيل[20]). وقال أيضًا: (...على أنه من بلاغة القرآن أن تأتي مثل هذه الآيات بوجوه من الاحتمالات متناسبات غير متناقضات؛ فتكون الآية الواحدة بتلك الاحتمالات كأنها آيات: نظير مجيء الآية بقراءتين، فتكون كآيتين مثل قوله تعالى: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات: 6][21]). وقال في

---

[16] **المرجع السابق** ص 77.

[17] ابن باديس، عبد الحميد بن محمد، **تفسير ابن باديس** ص 85.

[18] **المرجع السابق** ص 90.

[19] **المرجع السابق** ص 58.

[20] **المرجع السابق** ص 84.

[21] **المرجع السابق** ص 239، وانظر: ص385.

موضع آخر: (وقدم المفعول، وهو (كلا) رداً على من يعتقد أن الله تعالى يمد بعضاً دون بعض. وفيه إيجاز بالحذف، والأصل كلا الفريقين: يعني فريق مريدي العاجلة، ومريدي الآخرة[22]).

د. ولم يغفل –رحمه الله– الخوض في الإعراب، دون إسهاب ولا إملال، بل بما يحتاجه المعنى. قال في موضع: (...وعليه يكون تقدير الآية هكذا: وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا قمر الليل، وجعلنا شمس النهار مبصرة. وهو تقدير صحيح لا معارض له من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، وسالم من دعوى تقدير محذوف، ومفيد لكثرة المعنى بأربع آيات: بالليل وقمره والنهار وشمسه. فالتقدير به أولى؛ ولذلك فسرنا الآية عليه[23]). وفي موضع يقول: ({أن} في {ألاّ} مصدرية، والتقدير: بألا تعبدوا إلاّ إياه أي بعدم عبادتكم سواه، بأن تكون عبادتكم مقصورة عليه[24]).

هـ. ويستفيد من الصرف في تبيان المعنى، وإظهار بعض هدايات الآية من خلال النظر في أوزان الكلمة الصرفية. قال مرة: (...وجاء لفظ "الأوابين" جمعاً لأواب، وهو فعّال من أمثلة المبالغة، فدل على كثرة رجوعهم إلى الله[25]). وقال: (...والغفور في قوله تعالى: {فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا}. هو الكثير المغفرة؛ لأنه على وزن فعول، وهو من أمثلة المبالغة الدالة على الكثرة[26]).

ثالثاً: بعد التمهيد، وشرح المفردات، وتحليل التراكيب، يُبيّنُ المعنى الذي يمثِّلُ موضوعَ التفسير بإيجاز غير مخل، وفي بضعة أسطر، يوضح فيها المعنى المراد دون أن يدخل في تفصيلات، وقد يذكر أكثر من معنى، وقد يرجح بينها.

رابعاً: يستخرج بعد ذلك ما في الآية أو الآيات من حقائق كونية واجتماعية وخلقية ونفسية وسياسية واقتصادية وتاريخية وتشريعية، مبينًا ومفصلًا ما يحتاج إلى تفصيل. وسيأتي ذكر شيء من ذلك في المطلب التالي.

---

[22] **المرجع السابق** ص 58، وانظر: ص82.

[23] ابن باديس، عبد الحميد بن محمد، **تفسير ابن باديس** ص 46.

[24] **المرجع السابق** ص 63. وانظر ص78, و ص117.

[25] **المرجع السابق** ص 76.

[26] **المرجع السابق** ص 77، و ص153.

المطلب الثاني

منهجه الإصلاحي في كتابته للتفسير

لم يرتض ابن باديس طريقة عدد من المفسرين، والتي كانت بعيدة عن مقاصد الإصلاح، وتهذيب النفوس، وبث معاني الإيمان واليقين في أرواح القارئين لكتاب الله.

يقول ابن باديس: (كنت متبرمًا بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية، واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله، ضيِّقُ الصدر من اختلافاتهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن، وكانت على ذهني بقيَّةٌ غشاوة من التقليد، واحترام آراء الرجال، حتى في دين الله، فذاكرت يومًا الشيخ النّخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق فقال لي: اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط، ويبقى الصحيح، وتستريح، فوالله لقد فتح بهذه الكلمة عن ذهني آفاقًا واسعة لا عهد له بها[27]).

وقال مرةً: (نفسر في هذا الباب من مجلة الشهاب ما فيه تبصرةً للعقول، أو تهذيباً للنفوس من تفسير القرآن الكريم[28]).

ويقول الدكتور محمد البهي —متحدثاً عن ابن باديس– أنه أحد أولئك الذين (رأوا القرآن وِحدةً لها اكتفاؤها الذاتي في التوجيه، واكتفاؤها الذاتي في التفسير، واكتفاؤها الذاتي في تحديد معالم البشرية وتاريخها وقوانين تطورها، ...وعبد الحميد بن باديس في تفسيره في مجال الذكر اتخذ هذا الرأي قاعدة فيما شرح، ودستورًا لقوله ومنطقه فيما دعا وتحدث، وسنةً للعمل فيما طبق[29]).

من هنا، أخذ على عاتقه أن يفسر كلام الله بطريقة مختلفة عما عهده الناس من مجرد المعلومات، أو الجدليات التي لا ينتفع بها القارئ للقرآن، بل قد تدخله في دهاليز الشكوك، ومضايق الريب.

فنجد الشيخ يهتم كثيرًا في تفسيره –بعد ذكر مسائل اللغة المتعلقة بالآية، وما في الآية من مناسبة أو أثر نبوي ونحو ذلك– بعدة أمور، تظهر من خلالها معالم منهجه الإصلاحي في التفسير:

الأول: الوعظ، وترقيق القلوب، وتزكية النفوس بمعاني القرآن وآياته.

وبحق؛ فإن هذه –أعني الوعظ بالقرآن، وتزكية النفوس بمعانيه– لهي ساحته التي لا يُجارى فيها ولا يُبارى، فقد كان من مقاصد تفسيره لكلام الله، بل هو المقصد الأسمى والأعلى، والذي كان يعلنه ويكرره دومًا =

---

[27] ابن باديس، عبد الحميد محمد، **مقدمة التفسير** ص 8.

[28] **المرجع السابق** ص 116.

[29] **المرجع السابق** ص 8.

تزكية النفوس بالقرآن، وإصلاح الأرواح بهداياته. يقول –مستبشرًا بما آلت إليه الأمور بعد نشأة جمعية العلماء المسلمين بالجزائر–: (كان الناس منذ زمن قريب لا يسمعون ولا يسمع منهم لفظ الاهتداء بهداية القرآن العظيم، والاقتداء بهدي الرسول الكريم ﷺ، والسير بسيرة السلف الصالح، في النهوض بأعباء الدنيا والدين، وهم –إلاّ قليلاً– عن هذا غافلون. أما اليوم بعد أن نهض العلماء المصلحون بواجبهم، ونشروا دعوة الحق في قومهم، فقد أصبح ذلك معروفاً عند أكثر الناس، وفي متناول الناس بجميع طبقاتهم. وإنا لنرجو من فضل الله المزيد، ونشاهد ذلك والحمد لله كل يوم يزيد، فالحمد لله على ما علّم وألهم وبصر ويسّر، ونسأله دوام التوفيق والتسديد يا رب العالمين[30]).

وإليك طرفًا يسيرًا من ذلك:

يقول عند تفسير قول الله {لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ}: (فهذه الكلمات القليلة الكثيرة، وهي: {لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} جمعت جميع أصول السعادة في هذه الحياة:

بالعمل مع الجد فيه، والمحبة له والرجاء في ثمرته، الذي به قوام العمران.

وبالرضا والتسليم للمولى، الذي به طمأنينة القلب وراحة الضمير.

وبالكف للقلب واليد عن الناس، الذي به الأمن والسلام[31]).

وكان يحرص –رحمه الله– على إضافة جوانب تطبيقية عملية من الآية، والاهتداء بهداياتها، وعدم الركون إلى مجرد المعرفة العامة لمعاني ألفاظ الآية، بل يجب أن يتعدى ذلك إلى التطبيق والعمل والتزكية.

يقول رحمه الله –بعد أن انقضى من البيان عن معنى آية–: (الاهتداء: على المؤمن أن يتحرى في مأكله ومشربه –وكل ما به قوام ذاته– الحلال الطيب، يمتثل بذلك أمر الله، ويقصد التوصل به إلى العمل الصالح[32]).

---

[30] ابن باديس، عبد الحميد بن محمد، **تفسير ابن باديس** ص 298.

[31] **المرجع السابق** ص 48، وانظر: ص72.

[32] **المرجع السابق** ص 356.

وفي موضع آخر يقول: (الجانب العملي في الآية: إن المسلمين كلهم –والحمد لله– أهل إيمان، فليستشعروه عند جميع الأعمال، ولا يخلون من عمل لمعاشهم أو لمعادهم، فليقصدوا بذلك كله وجه الله وامتثال أمره وحسن جزائه. وليقتصروا في عبادتهم على ما ثبت عن رسول الله ﷺ، ليكونوا على يقين من موافقة رضى الله، وسلوك طريق النجاة. فإذا فعلوا هذا وصمدوا إليه وجاهدوا أنفسهم في حملها عليه = كانوا شاكرين مشكورين على تفاوتهم في منازل العاملين عند رب العالمين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل[33]).

ويقول: (اهتداء: كل من اتصل بك من أهلك، وبنيك، وأبيك، وأمك، وأصحابك، وعشيرتك، وقومك، وكل من ترتبط به برباط من أبناء جنسك، هو فتنة وامتحان لك[34]).

الثاني من معالم تفسيره الإصلاحي لكلام الله: فهو الإصلاح الاجتماعي، والاهتمام بالواقع.

إن ابن باديس عانى معاناة شديدة في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر، والذي ساهم في تدمير عدد من القيم والمبادئ والأخلاق عند الشباب خاصة، وعند الناس عامة[35]؛ لذا فقد حرص ابن باديس على ربط بيانه لمعاني آيات القرآن بواقعه الاجتماعي، معتقدًا أنّ هذا أقرب طريق للإصلاح والتغيير.

كان كثيرًا ما يدعو إلى النظر في الواقع، والتأمل في أسباب ما آلت إليه الأمور، وكيف السبيل إلى العودة والتصحيح، فيقول مرة: (وهذا كما كان العرب والمسلمون أيام، بل قرون مدنيّتهم؛ عربوا كتب الأمم إلى ما عندهم، ونظروا وصححوا واستدركوا واكتشفوا؛ فأحيوا عصور علم من كانوا قبلهم، وأناروا بالعلم عمرهم. ومهدوا الطريق ووضعوا الأسس لما جاء بعدهم؛ فأدوا لنوع الإنسان بالعلم والمدنية أعظم خدمة تؤديها له أمة في حالها وماضيها ومستقبلها.

وكما نرى الغرب في مدنيّته اليوم؛ ترجم كتب المسلمين فعرف علوم الأمم الخالية التي حفظتها العربية وأدتها بأمانة، وعرف علوم المسلمين ومكتشفاتهم، فجاء هو أيضاً بمكتشفاته العجيبة التي هي ثمرة علوم الإنسانية من أيامها الأولى إلى عهده وثمرة تفكيره ونظره فيها[36]).

---

[33] ابن باديس، عبد الحميد بن محمد، **تفسير ابن باديس** ص 56.

[34] **المرجع السابق** ص168، وانظر: ص288.

[35] يقول رحمه الله: (إذا علمت هذه الأحكام، فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال). ابن باديس، عبد الحميد بن محمد، **تفسير ابن باديس** ص119. ويقول: (كما يفتن الفرد بالفرد، كذلك تفتن الأمة بالأمة: من ذلك أننا– معشر الأمة الإسلامية– قد فتنا بغيرنا من أمم الغرب، وفتنوا هم أيضاً بنا). **المرجع السابق** ص167.

ويقول أيضًا: (وهذا الذي أفادته الآية الكريمة مشاهد في تاريخ المسلمين قديماً وحديثاً؛ فقد تقدموا حتى سادوا العالم، ورفعوا علم المدنية الحقة بالعلوم والصنائع لما أخذوا بأسبابها كما يأمرهم دينهم. وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب فخسروا دنياهم، وخالفوا مرضاة ربهم، وعوقبوا بما هم عليهم اليوم من الذل والانحطاط. ولن يعود إليهم ما كان لهم إلاّ إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب.

فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخر بغيره المتقدم؛ لما فيها من بيان أن ذلك المسلم ما تأخر بسبب إسلامه، وأن غيره تقدم بعدم إسلامه؛ لأن السبب في التقدم والتأخر هو التمسك أو الترك للأسباب. ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الإسلام، لكان –مثل سالف أيامه– سيد الأنام[37]).

وهو يدعو إلى النظر في أسباب عمارة الحياة، وأن الله في كتابه يدعو إلى أسباب تفضيل الأمم بعضها على بعض، فيقول: («وفقه أسباب هذا التفضيل، هو فقه الحياة والعمران والاجتماع. فلذا أمر تعالى بالنظر في أحوال هذا التفضيل بقوله: {أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض}[38]).

ويؤكد إلى أن اجتماع الكلمة، ووحدة الصف، ونبذ التفرق والتشرذم، أسباب رئيسة للنهوض بحال الأمة، وعامل رئيس من عوامل الإصلاح، يقول رحمه الله: (في العالم الإسلامي كله اليوم طائفتان من المؤمنين، يتنازعان خطة الهداية والنذارة والتذكير. ولكل منهما –في سلوكها للقيام بتلك الخطة– سبيل. وكل منهما تدعي أنها على الصواب، وأنها الأحق والأولى بنفع العباد[39]).

كما أن للشيخ رحمه الله كلامًا طويلًا حول الإصلاح الخُلُقي للأفراد والمجتمعات، من خلال إيتاء الحقوق لأربابها[40]، ومسائل إنفاق المال وما يصاحب ذلك من هدر وتبذير وإسراف[41]، وتكلم كذلك بكلام جيد حسن حول معالجة بعض الرذائل الخلقية، كالقتل بغير وجه حق؛ خوفًا من الرزق أو نحوه، وكالزنا

---

[36] **المرجع السابق** ص101.

[37] ابن باديس، عبد الحميد بن محمد، **تفسير ابن باديس** ص 59.

[38] **المرجع السابق** ص60.

[39] **المرجع السابق** ص155.

[40] **المرجع السابق** ص78.

[41] **المرجع السابق** ص81.

والفواحش واختلاط الأنساب، فتكلم في ذلك بكلام طويل أبطل سببها، وبيّن عظيم قبحها وسوء عاقبتها[42]. وكذلك كانت له كلمات مهمة حول حفظ الأموال باحترام المِلْكية –كما وصفها–[43].

وبعد؛ فإن الإصلاح عند الشيخ عبدالحميد بن باديس صورة من صور البعث الحضاري الشامل التي كان شعارها: مقاومة الفساد، فساد القيم والمبادئ، وفساد السلوك والممارسات.

إن ابن باديس خير من يوصف بالمصلح الديني، والمرشد الأخلاقي، إضافة لما كان عليه من اجتهاد في الأحكام، وحسن استنباط من النصوص، رحمه الله وغفر له.

الثالث: اهتمامه بالسنة النبوية، وبما جاء عن السلف الصالح في التفسير.

فتجده كثيرًا ما يستشهد بالأحاديث النبوية في بيانه عن المعاني، ويعتمد عليها في استخراج هدايات الآيات، واستنباط معاني الإصلاح والاهتداء منها[44].

ولا يغفل كذلك ما ورد عن الصحابة والتابعين –رضي الله عنهم– في تفسير كلام الله، بل يصدر عن أقوالهم، ويحترم آراءهم، ويستشهد بها، ويعتمد عليها في الاستنباط والاهتداء بالآيات –مع عدم الإكثار من ذلك– فإني لم أجد –فيما نُقل عنه من التفسير– من أقوال السلف إلا القليل جدًا؛ لكنّا لا نظن به إلا الظن الحسن؛ إذ هو يصفهم بأحسن الأوصاف، وجميل النعوت كما قال مرة –وهو ينقل كلمة عن مجاهد–: (كلمة عظيمة من إمام عظيم: قال مجاهد –التابعي الجليل الثقة الثبت المفسر الكبير–: أئمة، نقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا[45]).

وهو بذلك يمتاز عن أساتذة المدرسة الإصلاحية في التفسير، من حيث تعظيمه للمأثور في التفسير، وإقلالهم من قيمته ومنزلته في التفسير. فهم يردون التفسير بالسنة النبوية، ومن كان كذلك فهو أسرع إلى رد أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

---

[42] **المرجع السابق** ص88.

[43] **المرجع السابق** ص94.

[44] انظر **تفسيره**: ص67، و73، و76، و82، و114.

[45] ابن باديس، عبد الحميد بن محمد، **تفسير ابن باديس** ص239. وانظر أيضًا: ص244.

وقد درج أساتذة المدرسة الإصلاحية على التقليل من شأن التفسير بالمأثور، والتشكيك فيه، وعدم الاحتجاج به، وإن كانوا يظهرون قبوله واعتباره[46].

ومما جاء عنهم: قول الأستاذ محمد رشيد رضا: (وأما الروايات المأثورة عن النبي ﷺ وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير؛ فمنها ما هو ضروري أيضًا؛ لأن ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء، ويليه ما صح من علماء الصحابة مما يتعلق بالمعاني اللغوية أو عمل عصرهم، والصحيح من هذا وذاك قليل، وأكثر التفسير بالمأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب[47]).

ويقول المراغي: (وطاعة الرسول واجبة في حياته وبعد مماته فيما علم أنه دعا إليه دعوة عامة من السنن العملية المبينة للكتاب، ومن السنن القولية القطعية في الرواية والدلالة[48]). ومنهجه في التفسير قد قرر فيه ذلك؛ إذ يقول: (ومن ثم رأينا ألا نذكر رواية مأثورة إلا إذا تلقاها العلم بالقبول، ولم نرَ فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التي لا خلاف فيها بين أهله، وقد وجدنا أن ذلك أسلم لصادق المعرفة، وأشرف لتفسير كتاب الله، وأجذب لقلوب المثقفين ثقافة علمية لا يقنعها إلا الدليل والبرهان ونور المعرفة الصادقة[49]).

ومن قبلهم الأستاذ محمد عبده حيث يقول: (إن الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند مَن صح عنده، أما مَن قامت له الأدلة على أنه غير صحيح؛ فلا تقوم به عليه حجة، وعلى أي حال فلنا –بل علينا– أن نفوض الأمر في الحديث، ولا نحكمه في عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل[50]).

كانت هذه بعض نصوصهم القولية، وإذا ما نظرنا إلى الجانب التطبيقي فإنّا نراهم حينًا يوردون ما يتعلق بالآية من السنة النبوية.

فمن ذلك ما أورده الأستاذ محمود شلتوت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: 101]: (وإذا كان شخص الرسول قد غاب عن أعين الآخرين، فهو حاضر في قلوبهم، ماثل في أنفسهم، ولم تنقطع أسوتهم به ... فمنزلة وجوده فيهم بعد مماته هي منزلة وجود

---

[46] انظر: الرومي، فهد بن سليمان الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، ج2، ص718.

[47] رضا، محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج1، ص7. وانظر أيضاً كلامه في هذه المسألة من تفسيره في ج1، ص10، وفي ج9، ص465.

[48] المراغي، أحمد مصطفى، **الدروس الدينية**، ص24.

[49] المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، ج1، ص19.

[50] عبده، محمد عبده، **تفسير جزء عم** ص181.

الكتاب فيهم، كلاهما متواتر يلقاه جيل من المؤمنين عن جيل، وقد ورد في الخبر أن الرسول ﷺ قال: ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي[51]))[52].

وحينًا ما يفسرونها. ومنه ما نقله رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60]، فقال: (وقد روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر أنه سمع النبي ﷺ –وقد تلا هذه الآية على المنبر– يقول: ((ألا أن القوة الرمي)) قالها ثلاثًا[53]، وهذا كما قال بعض المفسرين من قبيل حديث: ((الحج عرفة[54]))، بمعنى: أن كلًّا منهما أعظم الأركان في بابه[55]).

وحينًا ثالثاً يرفضون التفسير بالمأثور وإن صح. وهو كثير في تفاسيرهم؛ حيث ردوا كثيرًا من السنة النبوية التي تفسر بعض آيات القرآن الكريم أو تتعلق به، لم يردوها لضعف في سندها، أو لمخالفة ما هو معلوم من الشريعة؛ وإنما فعلوا ذلك لأنها لا تتفق مع ما ذهبوا إليه في تفسير الآية؛ فردوا أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث.

فنجد الأستاذ محمد عبده يذكر رأيه في موضوع الكوثر حيث يقول: (وأما أن هناك نهرًا في الجنة اسمه الكوثر، وأن الله أعطاه نبيه، فلا يفهم من معنى الآية؛ بل الذي يدل عليه سياق السورة وموضع نزولها هو الذي بيَّناه من أحد القولين، والأول –وهو النبوة وما في معناها– أرجح.

أما الاعتقاد بوجود هذا النهر في الجنة فموقوف على تواتر الأخبار التي وردت به[56]).

وتارة يرفضون التفسير بالمأثور بأسلوب آخر؛ وهو الزعم بأنه من الإسرائيليات، حتى وإن رواه البخاري ومسلم، خذ مثلًا تفسير الأستاذ محمد رشيد رضا لقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف: 162]؛ حيث قال: (ولا ثقة لنا بشيء مما رُوي في هذا التبديل من ألفاظ عبرانية ولا عربية، فكله من الإسرائيليات الوضعية، كما قاله الأستاذ الإمام هنالك، وإن خُرِّج بعضه في الصحيح والسنن موقوفًا ومرفوعًا؛ كحديث أبي هريرة المرفوع في الصحيحين وغيرهما: ((قيل لبني إسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: 58]، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حطة حبة في

---

[51] الحاكم، محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، ج1، ص93.

[52] شلتوت، محمود شلتوت، **تفسير القرآن الكريم**، ص129.

[53] مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، باب فضل الرمي والحث عليه، حديث 167، ج3، ص1523.

[54] أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث 18774، ج31، ص64، وصحح إسناده محققو المسند.

[55] رضا، محمد رشيد رضا، **تفسير المنار** ج7، ص582. وانظر أيضاً: ج2، ص487.

[56] عبده، محمد عبده، **تفسير جزء عم** ص165.

شعرة))، وفي رواية: ((شعيرة))، ورواه البخاري في تفسير السورتين[57] من طريق همام بن منبه أخي وهب، وهما صاحبا الغرائب في الإسرائيليات، ولم يصرح أبو هريرة بسماع هذا من النبي ﷺ؛ فيحتمل أنه سمعه من كعب الأحبار؛ إذ ثبت أنه روى عنه، وهذا مدرك عدم اعتماد الأستاذ على مثل هذا من الإسرائيليات وإن صح سنده؛ ولكن قلما يوجد في الصحيح المرفوع شيء يقتضي الطعن في سندها[58]).

وهكذا ترى السيد محمد رشيد رضا يرد الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ بعبارات عامة موهمة غير محررة: (**يحتمل** أنه سمعه من كعب الأحبار)، و(**فيخشى** أن يكون قد روى بعضها عن كعب الأحبار)، و(**الظاهر** أن هذا الحديث مما حدث به بعد اختلاطه).

أما ثالث أساليب رفضهم للتفسير بالمأثور فهو وإن لم يكن رفضًا مباشرًا إلا أنه إغفال له يجعله في درجة المرفوع، فهذا الشيخ المراغي مثلًا يفسر المغضوب عليهم والضالين في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: 7] بقوله: (والمغضوب عليهم هم الذين بلغهم الدين الحق الذي شرعه الله لعباده؛ فرفضوه ونبذوه وراءهم ظهريًا، وانصرفوا عن النظر في الأدلة؛ تقليدًا لما ورثوه عن الآباء والأجداد ... والضالون هم الذين لم يعرفوا الحق، أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح، وهؤلاء هم الذين لم تبلغهم رسالة أو بلغتهم على وجه لم يستبن لهم فيه الحق[59]).

يقول هذا مع أن تفسير المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي ﷺ وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم، حتى قال ابن أبي حاتم: (لا أعلم في ذلك اختلافًا بين المفسرين[60]).

---

[57] يقصد سورتي البقرة والأعراف.

[58] رضا، محمد رشيد رضا، **تفسير المنار** ج9، ص348. وانظر أيضاً: ج8، ص210.

[59] المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي** ج1، ص37. وانظر أيضاً: ج17، ص84.

[60] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان** ج2، ص190.

الخاتمة

الحمد لله آخرًا، كما أن الحمد كان له أولًا، وصلى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين. وبعد توفيق الله تعالى وعونه، كانت هذه هي أهم النتائج التي خلصت إليها من خلال هذا البحث:

- ضمّن الشيخ تفسيره كثيراً من المواعظ والهدايات وتوجيهات التربية والتزكية الإيمانية.
- رغم استفادة الشيخ من مدرسة الإصلاح الحديثة، إلا أنه التزم بمنهج السلف في التفسير، وسائر أبواب الدين، ولم يسلك مسلك أساتذة التفسير الإصلاحي المعاصر وهنّاتهم في بعض أبواب العلم، كالسنة النبوية، وأقوال السلف.
- ضرب الشيخ ابن باديس مثالاً رائعاً، وأنموذجاً فريداً رائقاً في إصلاح الناس بالقرآن، ودعوة الناس به، وجهاد الكافرين به.
- كان الشيخ –بحق– رائد مدرسة التفسير الإصلاحي في العصر الحديث.

فهرس المصادر والمراجع

- ابن باديس، عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي، **مجالس التذكير من حديث البشير النذير**، (المغرب: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1403هـ.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).
- الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، **المستدرك على الصحيحين**، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ).
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المحقق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1416هـ).
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن الفخر، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).
- رضا، محمد بن رشيد، **تفسير المنار**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).

- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، (السعودية: إدارات البحوث العلمية، ط1، 1407هـ).
- الزبيري، وليد بن أحمد الحسين، **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة**، (إنجلترا: مجلة الحكمة، ط1، 1424هـ).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، (الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1420هـ).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية للكتاب، 1394هـ).
- شلتوت، محمود شلتوت، **تفسير القرآن الكريم**، (بيروت: دار الشروق، 2009م).
- الطالبي، عمار الطالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، (الجزائر: الشركة الجزائرية، 1417هـ).
- عبَّاس، فضل حسن، **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**، (الأردن: دار النفائس، ط1، 1437هـ).
- عبده، محمد عبده، **تفسير جزء عم**، (القاهرة: مطبعة مصر، 1341هـ).
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، 1399هـ).
- المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبي، ط1، 1365هـ).
- المراغي، أحمد بن مصطفى، **الدروس الدينية**، (مصر: مطبعة الأزهر، 1938م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

Index of sources and references

- Ibn Bādīs, Abd al-Ḥamīd bin Muhammad al-Mustafa bin Mākkī, Mjālis al-Tadhkīr min ḥadīth al-Bashīr al-Nadhīr, (Morocco, Publications of the Ministry of Religious Affairs, Edition 1, 1403 AH.

- Al-Biqa‘ī, Ibrāhīm bin Umar bin Hasan, Naẓm al-Durar fi Tanāsub al-Ayāt wa al-Suwar, (Cairo: Dār al-Kitāb al-Islmī
- Al-Hākim, Muhammad bin Abd Allah bin Muhammad bin Ḥamdawayh, Al-Mustadrak ‘la al-Ṣaḥīḥayn, , Investigator: Mustafa Abd al-Qādir Atta, (Beirut: Dār Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Edition 1, 1411 AH).
- Ibn Ḥanbal, Ahmad bin Ḥanbal al-Shaybanī, Musnad al-Imām Ahmad Ibn Hanbal, Investigator: Ahmad Muhammad Shākir, (Cairo: Dār Al-Ḥadīth, Edition 1, 1416 AH).
- Al-Rāzī, Muhammad bin Umar bin al-Ḥasan al-Fakhr, Mafātīḥ al-Ghayb, (Beirut: Dār Revival of Arab Heritage, 3rd Edition, 1420 AH).
- Riḍā, Muhammad bin Rashīd, Tafsīr al-Manār, (Egypt: The Egyptian General Book Authority, 1990 AD).
- Al-Rūmī, Fahd bin Abd al-Raḥman bin Sulaymān, Itijahāt al-Tafsīr fi al-Qarn al-Rabi‘ ‘ashar, (Saudi Arabia: Departments of Scientific Research, Edition1, 1407 AH).
- Al-Zubayrī, Walīd bin Ahmad al-Husayn, Al-Mawsū‘a al-Muyysarah fi Tarājim A’imat al-Tafsīr wa al-Iqra’ wa al-Naḥū wa al-Lughah, (England: Al-Hikmah Magazine, Edition 1, 1424 AH).
- Al-Sa‘dī, Abd al-Raḥman bin Nāsir bin Abd Allah, Al-Qawa‘id al-Ḥisān Li Tafsīr al-Qurān, (Riyadh: Al-Rushd Library, Edition 1, 1420 AH).
- Al-Suyuṭī, Abd al-Raḥman bin Abi Bakr, Al-Itqan fi Ulūm al-Qur’ān, Investigator: Muhammad Abu Al-Faḍl Ibrāhīm, (Egypt: The Egyptian Book Authority, 1394 AH).
- Shaltūt, Maḥmud Shaltūt, Tafsir al-Qur’ān al-Karīm, (Beirut: Dār Al-Shurūq, 2009 AD).
- Al-ṭālbī, Ammār Al-ṭālbī, Ibn Bādīs Hayatahu wa Atharahu, (Algeria: The Algerian Company, 1417 AH).
- Abbās, Faḍl Ḥasan, Al-Tafsīr wa al-Mufasirūn Asāsiyatahu wa Itijāhatahu wa Manahijhu fi al-Aṣr al-Ḥadīth, (Jordan: Dār Al-Nafa’is, Edition 1, 1437 AH).
- Abdu, Muhammad Abdu, Tafsīr Juz’ Amma, (Cairo: Miṣr Press, 1341 AH).
- Ibn Fāris, Ahmad bin Fāris bin Zakariyā, Mu‘jam Maqayyis al-Lughah, Investigator: Abd al-Salām Muhammad Harūn, (Beirut: Dār al-Fikr, 1399 AH).

- Al-Marāghī, Ahmad bin Mustafa, Tafsīr Al-Marāghī, (Cairo: Mustafa Al-Bābī Al-Ḥalabī Press, Edition 1, 1365 AH).
- Al-Marāghī, Ahmad bin Mustafa, Al-Durūs al-Dīniyyah, (Egypt: Al-Azhar Press, 1938 AD).
- Ibn Manẓūr, Muhammad bin Mukaram bin Alī, Lisān al-Arab, (Beirut: Dār Ṣādir, 3rd edition, 1414 AH).
- Al-Nīsābūrī, Muslim bin Al-Ḥajjāj, Ṣaḥīḥ Muslim, Investigator: Muhammad Fu'ād Abd al-Bāqī, (Beirut: Dār Revival of Arab Heritage).